السياق القرآني وأثره في رد الأقوال الشاذة في التفسير

(دراسة نظرية تطبيقية)

مراد أحمد سنان المحمدي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد كلية التربية والعلوم برداع جامعة البيضاء

Tell:٠٠٩٦٧٧٧٣٧٩٣٩٣٢

Email:Murad244342@gmail.com

جمال محمد محمد هاجر

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك كلية التربية والعلوم برداع جامعة البيضاء

الملخص:

يعد السياق القرآني مصدرًا مهمًا للمفسرين، يبرز مظهرًا من مظاهر الإعجاز البياني في النص القرآني؛ حيث يكون مِعوانًا على استجلاء المراد من اللفظة القرآنية، والكشف عن الأقوال الشاذة والضعيفة، ويمنع التأويلات البعيدة والفاسدة، وهذا البحث يدور حول السياق القرآني وأثره في رد الأقوال الشاذة، ويهدف إلى إبراز أهمية السياق القرآني بوصفه أصلًا مهمًا من أصول التفسير، كما يهدف إلى استجلاء أثر السياق القرآني في رد الأقوال الشاذة، وتكون البحث من مقدمة، وثلاثة مباحث، تناول منها التعريف بمصطلحات الدراسة، وتناول الثاني بيان أركان السياق وأنواعه، وجاء الثالث دراسة تطبيقية لبعض الأقوال الشاذة في التفسير وردها من خلال السياق القرآني، ثم خاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: أثر السياق القرآني، الأقوال الشاذة، التفسير.

Abstract

The Qur'anic context is an important source for commentators, high lighting a manifestation of the rhetorical miracle in the Qur’anic text, as it helps to clarify the meaning of the Qur’anic word, reveal abnormal and weak sayings, and prevent distant and corrupt interpretations. It aims to highlight the importance of the Qur’anic context as an important source of interpretation, and it also aims to clarify the impact of the Qur’anic context in responding to abnormal l sayings. An applied study of some abnormal sayings in interpretation and the response through the Quranic context, the conclusion in which the most important results and recommendations.

Key word: The Qur'anic context, Abnormal sayings,Interpretation.

المقدمـــة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد: فلما كان علماء التفسير من أسبق العلماء الذين اهتموا بالسياق؛ حيث جعلوه آلة فهم واستنطاق، ووسيلة كشف عن المعنى القرآني، والبيان التفسيري، بل إنهم يرون أَنَّهُ من أهم محددات دلالات النص القرآني، فهو يعد –بحق– الطريق الأسلم، والنهج الأقوم لجعل معنى كلام الله متناسبًا منتظمًا، وإن غيابه أو إهداره في التفسير ليجر المفسر إلى قصور في فهم الآيات، وإخراجها عن مدلولها، وكلام الله لا يليق به أن يعزل عن سياقه، إلا بدليل صحيح يجب التسليم له.

وقد فطن المفسرون إلى أهمية السياق القرآني فجعلوه لبنة أساسية في تفاسيرهم ونصوا على مكانته في تحديد المعنى، فهذا شيخ المفسرين الإمام الطبري كان مراعيًا للسياق وسائرًا على نهجه المعتبر في الاختيار والترجيح؛ حيث قال رحمه الله: "فإنما اخترنا ما اخترنا من التأويل طلبَ اتِّساقِ الكلامِ على نظامٍ في المعنى"[(١)]، بل إنه يرى أنه لا يجوز "صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره، إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل، أو خبر عن الرسول تقوم به حُجَّة"[(٢)].

ومن ثم، نود التنبيه إلى أن السياق القرآني لا يقوم بالوظيفة التفسيرية فقط، بل يتجاوزها إلى وظائف أخرى من أهمها: رد الأقوال الشاذة في التفسير التي لا تنسجم والنص القرآني.

وبناء عليه: فقد جاءت فكرة هذا البحث لتعالج هذه القضية، وتوضح مآل إهدار البعض للسياق؛ وهو ما حدا بهم إلى القول بأقوال تفسيرية شذُّو بها عن أهل التفسير من السابقين واللاحقين.

أهمية الموضوع، و أسباب اختياره:

تتجلى أهمية هذه البحث وأسباب اختياره من خلال أمور كثيرة، من أهمها:

١–لفت أنظار الدارسين في مجال الدراسات القرآنية إلى أهمية السياق القرآني.

٢–إبراز أثر السياق القرآني في الكشف عن الأقوال الشاذة في التفسير.

٣–الاهتمام بالسياق القرآني يمنع التأويلات الباطلة التي تجعل تفسير القرآن خاضعًا للأحكام والقناعات المسبقة.

---

(١) جامع البيان، الطبري، (٣٩٨/٢).

(٢) المرجع السابق، (٦٧٤/٧).

٤-المشاركة في الجهود التي تبذل لتنقية كتب التفسير من الأقوال الشاذة من خلال السياق القرآني؛ صونًا لكتاب الله من عبث العابثين، وتحريف المبطلين، وتأويل الجاهلين.

٥-بيان الطريقة المثلى لنقد الأقوال التفسيرية الشاذة دون إفراط أو تفريط.

مشكلة البحث:

يعد السياق القرآني ركيزة مهمة من الركائز التي يعتمد عليها المفسر، والتي يصحبها في جميع مراحله، ونبه المفسرون على أهميته في منع تعدد الأقوال، وظهور الأقوال الشاذة والباطلة في التفسير؛ لذا يسعى البحث للإجابة عن الأسئلة الآتية:

١-ما مفهوم السياق القرآني، والأقوال الشاذة في التفسير؟

٢-ما أنواع السياق القرآني، وأركانه؟

٣-هل للسياق القرآني أثر في رد الأقوال الشاذة في التفسير؟

أهداف البحث:

يروم هذا البحث تحقيق الأهداف الآتية:

١-تعريف السياق القرآني، والأقوال الشاذة في التفسير.

٢-بيان أنواع السياق القرآني، وأركانه.

٣-استجلاء أثر السياق القرآني في رد الأقوال الشاذة في التفسير من خلال ذكر أمثلة تطبيقية على ذلك.

حدود البحث:

اقتصر البحث على ذكر بعض الأمثلة للأقوال التفسيرية التي ردها العلماء بسبب مخالفتها للسياق القرآني، وحكم عليها بالشذوذ، وهذه الأمثلة على سبيل التمثيل لا الحصر؛ فالبحث قائم على الاصطفاء لا على الاستقراء.

الدراسات السابقة:

حظي موضوع السياق بشكل عام، والسياق القرآني بشكل خاص بالكثير من الدراسات والأبحاث والمقالات في مجالات مختلفة، إلا أننا بعد البحث والتتبع–في حدود اطلاعنا– لم نجد بحثًا علميًا أفرد الكلام عن أثر السياق القرآني في رد الأقوال الشاذة في كتب التفسير؛ لذا رأى الباحثان أن من المناسب إفراد هذا الموضوع ببحث تعرض فيه نماذج تطبيقية توضح المقصود من الدراسة.

منهج البحث:

اعتمد الباحثان في كتابة هذا البحث على المنهج الوصفي، والاستقرائي، والتحليلي، فالمنهج الوصفي: عند التعريف بالسياق القرآني والأقوال الشاذة، وبيان أركان السياق وأنواعه.

وأما المنهج الاستقرائي: فذلك عند تتبع المادة العلمية من مظانها المختلفة.

وأما المنهج التحليلي: فقد اعتمدنا عليه في دراسة الأمثلة التي تبين أثر السياق في رد الأقوال الشاذة؛ حيث تناولنا هذه الأمثلة بالشرح والتفسير والتحليل، وبيان مدى مخالفتها للسياق القرآني ؛ وهوما جعل العلماء يردونها ويحكمون عليها بالشذوذ، وكانت أبرز ملامح منهج البحث ما يأتي:

١–عزو الآيات إلى سورها مع ذكر أرقامها في صلب البحث بعد كتابة نص الآية مباشرة.

٢–تخريج الأحاديث، مكتفيين بالصحيحين أو بأحدهما إن كان الحديث فيهما، فَإِنَّ لم يكن فيهما خرجناه باختصار من غيرهما، واكتفينا بالعزو إلى رقم الحديث ووضعه بين قوسين، هكذا ( )، وإلى الجزء والصفحة إذا كان ثَمَّ أجزاء هكذا على سبيل المثال (٢٠/١)، أو إلى رقم الصفحة إذا لم يكن ذا أجزاء هكذا ص:.٢٠

٣–لم نترجم للأعلام الوارد ذكرهم في البحث؛ خشية الإطالة.

٤–عزو الأقوال إلى أصحابها وتوثيقها من كتبهم، فإن لم توجد فتوثق من المصادر والمراجع الأخرى.

٥–تأخير ذكر بيانات المصادر والمراجع إلى فهرسها؛ خشية الإطالة بذكرها.

خطة البحث:

تتوزع خطة البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها بيان أهمية البحث، وأسباب اختياره، ومشكلته، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وهيكله.

المبحث الأول– التعريف بمصطلحات العنوان، وفيه مطلبان:

المطلب الأول– تعريف السياق القرآني لغةً، واصطلاحًا.

المطلب الثاني– تعريف الأقوال الشاذة لغةً، واصطلاحًا.

المبحث الثاني– أركان السياق القرآني، وأنواعه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول– أركان السياق القرآني.

المطلب الثاني– أنواع السياق القرآني.

المبحث الثالث– الدراسة التطبيقية.

ثم الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وأما الفهارس، فهي فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول–التعريف بمصطلحات العنوان، وفيه مطلبان:

المطلب الأول- تعريف السياق القرآني لغةً، واصطلاحًا:

أولًا- تعريف السياق لغةً:

يكشف الاستعمال اللغوي لهذا اللفظ كما ورد في المعاجم العربية أنه مأخوذ من الجذر اللغوي (س وق)، قال ابن فارس: "السين، والواو، والقاف، أصل واحد، وهو حدو الشيء، يقال: ساقهُ، يسوقُهُ، سوقًا، والسَّيِّقة: ما استيق من الدواب..."(٣).

والسياق هو التتابع دون انقطاع، يقال: "تساوقت الإبل تساوقًا، إذا تتابعت"(٤)، وفي الصحاح: "وَلَدَتْ فلانةُ ثلاثةَ بنينَ على ساقٍ واحد، أي بعضُهم على إثر بعض، ليست بينهم جارية"(٥)، "ومن المجاز: هو يسوق الحديث أحسن سِياقٍ، وإليك يُساقُ الحديث، وكلام مَساقُهُ إلى كذا"(٦).

وجاء في المعجم الوسيط: "الْمهْر، وَسِيَاق الْكَلَام تتابعه وأسلوبه الَّذِي يجْرِي عَلَيْهِ"(٧).

ويتبين من خلال المعاني اللغوية التي ذكرها أصحاب المعاجم أن مادة السياق، تدور حول تتابع الحديث وتواليه، ومجيء الشيء متتابعًا، ويكون ذلك بانتظام وترابط وسلاسة.

ثانيًا- تعريف السياق اصطلاحًا:

قد تنوعت عبارات العلماء والباحثين في تعريف السياق اصطلاحًا، وذلك نتيجة الاهتمام الذي ناله من قبل علوم كثيرة رأت فيه أنه يعد عمدة الفهم والتحليل، والترجيح بين الأقاويل، ومن هذه التعريفات:

قولهم هو: "بناء كامل من فقرات مترابطة، في علاقته بأي جزء من أجزائه، أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة، ودائمًا ما يكون السياق مجموعة من الكلمات وثيق الترابط بحيث يلقي ضوءًا لا على معاني الكلمات المفردة فحسب، بل على معنى وغاية الفقرة بأكملها"(٨).

وهذا التعريف قد كشف عن معنى السياق، وأبان أنه بناء كامل يعتمد على مجموعة الكلمات السابقة واللاحقة التي تظهر المعنى المراد من اللفظة.

---

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (١٦٦/١٠).

(٤) تهذيب اللغة، الأزهري، (١٨٥/٩)، ولسان العرب، ابن منظور، (١٦٦/١٠).

(٥) الصحاح في اللغة، الجوهري، (٣٤٠/١).

(٦) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، (٤٢٧/٢٥).

(٧) المعجم الوسيط، (٤٦٥/١).

(٨) معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، ص٢٠١-٢٠٢.

وعُرِّف السياق بعبارة أخرى، فقالوا هو: عبارة عن "تتابع الكلام وانسجام التعبير في الدلالة على المعنى من خلال سابق يمهد ولاحق يتمم أو يؤكد"(٩).

وعرِّف بأنه: "كافة القرائن التي تسهم في عملية الفهم، لغوية كانت أم غير لغوية"(١٠).

وثمة تعريفات أخرى كثيرة نكتفى بما سبق ذكره، ونخلص إلى أن السياق عبارة عن تتابع الكلمات أو الفقرات تتابعا منسجمًا متسلسلًا، وعوامل داخلية أو خارجية لها أثر في إظهار المعنى المراد من اللفظة.

ثالثًا-تعريف السياق القرآني:

لم نجد بعد البحث والتدقيق من عرَّف السياق القرآني من العلماء المتقدمين، وإن كان معتبرًا عندهم، حاضرًا في مؤلفاتهم، "فلا زلنا نقرأ في كلامهم: هذا يؤيده السياق أو يرده، أو يدل عليه أو لا يدل عليه، أو يساعده أو لا يساعده، أو يعضده أو لا يعضده، ونحو ذلك مما ملئت به كتب التفسير"(١١)، والسبب في ذلك أن السياق القرآني لم يعرف آنذاك بوصفه علمًا مستقلًا له أصوله وقواعده، كذلك أنه كان في استعمال المتقدمين من البديهيات التي لا تحتاج إلى تعريف.

أما الباحثون المعاصرون فقد جاء في كتابات بعضهم تعريفات للسياق القرآني، ومن أهم هذه التعريفات:

"السياق القرآني: تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة لأداء المعنى"(١٢).

وعرف السياق القرآني، بأنه: "ما يحيط بالنص من عوامل داخلية أو خارجية لها أثر في فهمه: من سابق أو لاحق به، أو حال المخاطِب، والمخاطَب، والغرض الذي سيق له، والجو الذي نزل فيه"(١٣).

ويعرف السياق القرآني، بأنه: "بيان اللفظ أو الجملة في الآية بما لا يخرجها عن السابق واللاحق إلا بدليل صحيح يجب التسليم له"(١٤).

وقد اشتملت هذه التعريفات على جوانب مهمة في صياغة تعريف مناسب للسياق القرآني؛ وعليه يمكن القول بأن التعريف المختار للسياق القرآني: "هو تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية؛ لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، من دون انقطاع أو انفصال"(١٥).

---

(٩) مفاتيح التفسير، أحمد سعد الخطيب، (٤٧٢/١).

(١٠) الخطاب الشرعي وطرق استثماره، إدريس حمادي، ص١٤٦.

(١١) مفاتيح التفسير، (٤٧٢/١).

(١٢) السياق القرآني وأثره في التفسير، عبد الرحمن المطيري، ص٧١، ٧٢.

(١٣) السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، سعيد الشهراني، ص٢٢.

(١٤) دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير، عبد الحكيم القاسم، (٩٣/١).

المطلب الثاني- تعريف الأقوال الشاذة لغة واصطلاحًا:

أولًا- تعريف الشذوذ لغة:

الشذوذ في اللغة: مصدر شذَّ يَشِذُّ شذًّا وشذوذًا، أي: انفرد عن الجمهور وندر، يقال: شذَّ الرجل إذا انفرد عن القوم، واعتزل جماعتهم(١٦)، قال ابن فارس بأن أصل: "الشين والذال يدل على الانفراد والمفارقة، شذ الشيء يشذ شذوذًا"(١٧).

وشذَّ، أي: ابتعد عن الوضع الطبيعي وانحرف عن القاعدة، أو الشكل، أو النظام المتعارف عليه أو الشائع(١٨).

ويتبين مما ذكر في كتب المعاجم اللغوية أن مادة (ش ذ ذ) تدور حول معاني الانفراد، والمفارقة، والقلة، والخروج عن الجماعة ومخالفة ما استقر عليه قول العلماء، قال ابن جني: "وأما مواضع (ش ذ ذ) في كلامهم فهو التَّفرُّق والتَّفرُّد"(١٩).

ثانيًا-تعريف الشذوذ اصطلاحًا:

من خلال النظر في المعنى اللغوي للشذوذ نجد أن له أثرًا في المعنى الاصطلاحي؛ وذلك أنهم يعرفونه بقولهم: "التفرد بقول مخالف للحق بلا حجة معتبرة"(٢٠).

وعُرِّف أيضًا بأنه: "قول انفرد به قلة من المجتهدين من غير دليل معتبر"(٢١).

ثالثًا- تعريف الأقوال الشاذة في التفسير:

وأما تعريف القول الشاذ عند علماء التفسير فنجد أن عبد الرحمن الدهش قد عرفه بقوله: "ما خالف طُرق التفسير المعتبرة، أو جرى على مذهب عقدي باطل، أو خالف إجماعًا مستقرًا"(٢٢).

---

(١٥) السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، المثنى عبد الفتاح، ص١٥.

(١٦) ينظر: جمهرة اللغة، ابن دريد، (٣٦/١)، مختار الصحاح، الرازي، (٥٦٥/٢)، لسان العرب، ابن منظور، (٤٩٤/٣).

(١٧) معجم مقاييس اللغة، (١٨٠/٣).

(١٨) ينظر: أساس البلاغة، الزمخشري، (٣٢٤/١)، مختار الصحاح، الرازي، (١٤٠/١)، لسان العرب، ابن منظور،(٤٩٤/٣).

(١٩) الخصائص، ابن جني، (٩٦/١).

(٢٠) الأقوال الشاذة في بداية المجتهد لابن رشد، صالح الشمراني، ص٤٤.

(٢١) الآراء الشاذة في أصول الفقه، عبد العزيز النملة، ص٨٩.

(٢٢) الأقوال الشاذة في التفسير، عبد الرحمن الدهش، ص٢٥.

والمتأمل في التعريف يجد أن مبناه في ثلاثة أمور: مخالفة طرق التفسير، والمذهب الباطل، ومخالفة جمهور المفسرين.

ولا شك أن مخالفة طرق التفسير المعتبرة كافية في الحكم على القول بالبطلان لا مجرد الشذوذ بل يجب نفي صفة التفسير عنه ابتداءً، فالتفسير ما يقوم على الطرق المعتبرة وإن تعددت أوجهه لاختلاف أفهام الناس، واختلافهم في طريقة إنزال النصوص القرآنية على قواعد طرق التفسير وضوابطه وطرقه، وما خالف ذلك فكلام باطل لا يصح نسبته للتفسير ابتداءً، وإنما يُذكر لبيان بطلانه والتحذير منه.

أما المذهب الباطل فهو عائد على ذات الجزئية الأولى، فالمذهب الباطل لا شك في مخالفته لطرق التفسير الصحيحة، أما مخالفة جمهور المفسرين فقرينة قوية وضابط مهم لبيان شذوذ القول، وبناءً على ما سبق يمكن القول بأن معنى الأقوال الشاذة في التفسير هي: الأقوال المخالفة لجمهور المفسرين، أو التي لم يقل بها أحد من غير دليل معتبر(٢٣).

المبحث الثاني- أركان السياق القرآني وأنواعه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول- أركان السياق القرآني:

بعد استعراض أقوال العلماء، والباحثين حول معنى السياق، ومن خلال التعريف المختار يمكن القول إن السياق يتكون من ثلاثة أركان، هي: الكلمات القرآنية، والسباق، واللحاق(٢٤).

الركن الأول- الكلمات القرآنية:

والمقصود بها ألفاظ الآيات والجمل القرآنية؛ إذ القرآن الكريم نزل بلغة العرب، فلا بد من معرفة معاني المفردة وتراكيبها مع غيرها، واشتقاقاتها، وتصاريفها حتى يستقيم فهم كلام الله بحسب اللغة التي اختارها الله له بعيدًا عن التحريف والتأويل الذي لا يراعي قواعد اللغة العربية، ولغة العرب التي نزل بها.

ولهذا شدد العلماء على هذا الأصل وجعلوه شرطًا لازمًا لمن تصدر لبيان معاني كلام الله -عز وجل- حتى لا يتقول من لا علم له باللغة العربية فيحرف المعاني وفقًا لهواه ومذهبه بعيدًا عن المعنى الذي أراده الله في كلامه، "فللكلمة القرآنية ولغتها فلسفة خاصة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بإعجازه. وقد كان

(٢٣) ولا نعني بذلك الأقوال الضعيفة؛ لأن الأقوال الضعيفة لها وجه احتمال في التفسير، أما الشاذة فوجه احتمالها ضعيف جدًا، ولذلك فالأقوال الشاذة من وجهة نظر الباحثين أخص من الأقوال الضعيفة، ويمكن وصفها بشديدة الضعف.

(٢٤) للاستزادة يمكن الرجوع إلى الرسائل الآتية: السياق القرآني وأثره في ترجيح المعاني، مراد المحمدي، ص٧٩، دلالة السياق القرآني في تفسير الشنقيطي، أحمد المطيري، ص١٨، دلالة السياق القرآني في ترجيح أحد المعاني، نبيل مرعي، ص٣٣، السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، المثنى عبد الفتاح، ص٨٩، وغيرها.

القدماء يعبرون عن ذلك بـ(النظم القرآني)، والمتأخرون بـ(البيان القرآني) أو (الإعجاز القرآني)، ويقصد به تأليف حروفه وكلماته وجمله وسبكها مع أخواتها في قالب محكم"[٢٥] "متفردة بجلالها وإعجازها، يعيا الفصحاء والعلماء أن يأتوا بكلمة من مثلها، تقوم مقامها في موضعها وسياقها"[٢٦].

الركن الثاني– السباق:

قال ابن فارس: "السين، والباء، والقاف أصل واحد صحيح يدل على التقديم"[٢٧].

وفي الاصطلاح: "هو الكلام السابق على اللفظة أو الجملة"[٢٨]، في الكليات: "والسباق –بالموحدة– ما قبْل الشيء"[٢٩]، فكل ما تقدم سواء كان حسيًّا أو معنويًّا فهو سابق له.

والمراد بالسباق هنا الكلام الذي يبين معنى ما بعده. فكأن الكلام السابق آتى تمهيدًا لمعنى مراد من جملة الكلام بعده.

"وهذا الركن مهم في بيان معنى السياق وحقيقته، فلا يمكن التعرف على معنى الكلام بدون الرجوع إلى ما يسبقه من عبارات تشتمل على القرائن المؤدية للمعنى"[٣٠].

الركن الثالث–اللحاق:

جاء عند ابن فارس: "اللام، والحاء، والقاف، أصل يدل على إدراك شيء وبلوغه إلى غيره"[٣١]، وقال صاحب التاج: "وتَلاحَقَت الأَخْبارُ: تتابَعَت، وَكَذَا أحوالُ القَوْم، وَهُوَ مَجاز"[٣٢].

وفي الاصطلاح: "هو الكلام اللاحق والتالي للفظة أو الجملة"[٣٣]، ومن هنا يتبين أن اللاحق هو الكلام المبين لمعنى ما قبله، فالسباق بالنسبة للسياق القرآني يعني الكلام الذي يبين معنى ما قبلها، فتأتي الآية أو بعض كلماتها مبينة، وموضحة المقصود من الآية السابقة، وكأنها مكمل للآية السابقة، وتابعة لها.

---

(٢٥) موسوعة الكلمة وأخواتها في القرآن، أحمد عبيد الكبيسي، (٦/١).
(٢٦) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة عبد الرحمن، ص٦٠١.
(٢٧) معجم مقاييس اللغة، (١٢٩/٣).
(٢٨) معجم مصطلحات علوم القرآن، ص٩٣.
(٢٩) الكليات، الكفوي، ص٥٠٨.
(٣٠) أثر السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القرآن، تهاني باحويرث، ص٧١.
(٣١) معجم مقاييس اللغة، (٢٣٨/٥).
(٣٢) تاج العروس، الزبيدي،(٣٥٣/٢٦).
(٣٣) معجم مصطلحات علوم القرآن، محمد الشائع، ص١٢٧.

المطلب الثاني- أنواع السياق القرآني:

تعدد تقسيم العلماء والباحثين لأنواع السياق القرآني[٣٤]، ومع ذلك، فهذه الأنواع وإن اختلفت في المسمى إلا أنها متفقة في المعنى، متداخلة في المبنى، مؤتلفة ائتلافًا عجيبًا، لا يجد الناظر فيها تعارضًا ولا تناقضًا، وسنعرض كل نوعٍ منها بإجمال:

النوع الأول- سياق الآية: وهذا النوع واضح من مسماه أنه خاص بالآية ولا يتعدى لغيرها من الآيات، والمعنى أنه متى ما وجد خلاف في معنيين أو أكثر للآية الواحدة سواءً كان ذلك في تعدد أكثر من معنى لمفردة واحدة مع احتمالها لهذه المعاني، أو اختلاف في تعيين المخاطب في الآية، أو احتمال أكثر من معنى فقهي...إلخ، فَإِنَّ سياق الآية من سباق أو لحاق أو مجموعهما يحدد المعنى الراجح، والمناسب لذلك.

النوع الثاني- سياق المقطع أو النص: إِنَّ هذا النوع يتعدى الآية الواحدة، ويتكون من مجموع آيات يجمعها موضوع واحد وغرض واحد متناسقة فيما بينها، متناسبة مع أجزاء السورة نفسها، فتكون السورة الواحدة بمجموع آياتها تتضمن معاني متعددة طابعها التناسب، والتناسق، والتآخي فيأخذ بعضها برقاب بعض، فالسورة الواحدة تشكل بمجموع معانيها غرضًا واحدًا، أو أغراضًا كثيرة-أي مقاصد أو مواضيع السورة- فتصبح السورة إما ذات غرض واحد-وهو سياق السورة وهو النوع التالي- وإما أن تكون ذات أغراض متعددة؛ فتقسم السورة بناءً على أغراضها إلى مقاطع كل مقطع يبرز فيه غرض بشكل رئيس يميزه عن غيره من مقاطع السورة الواحدة، وهو ما نسميه سياق المقطع.

وعندئذ يكون للغرض الرئيس للمقطع دور في ترجيح أحد المعاني المحتملة للآيات الواردة فيه عند تعدد المعاني.

النوع الثالث- سياق السورة: من مظاهر إعجاز القرآن أن آيات السورة الواحدة تبدو بترابطها كالحلقات في سلسلة واحدة ذات معانٍ محكمة، وحقائق بينة، وشرائع منتظمة، فكل سورة في القرآن لها حدود ورسوم وأهداف وأغراض تدور حولها في تآلف وتناسق عجيب، فمهما تعددت القضايا التي تناولتها فَإِنَّهَا تبقى كلًا متكاملًا متعلقًا أوله بآخره، مرتبطًا ختامه بمقدمه في تلاحم بين الأجزاء والمقاطع يبين دقة النسيج وإحكامه[٣٥]، قال محمد دراز: "إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثًا من المعاني حُشيت

---

(٣٤) يمكن الرجوع إلى الرسائل العلمية الآتية: السياق القرآني وأثره في ترجيح المعاني، مراد المحمدي، ص٨٤، دلالة السياق القرآني في تفسير الشنقيطي، أحمد المطيري، ص١٨، دلالة السياق القرآني في ترجيح أحد المعاني، نبيل مرعي، ص٣٣، السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، المثنى عبد الفتاح، ص٨٩، وغيرها.

(٣٥) ينظر: التناسب ودوره في الإعجاز القرآني، إقبال وافي نجم، ص٩٠.

حشوًا، وأوزاعًا من المباني جمعت عفوًا، فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول، فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بناء واحد قد وضع رسمه مرة واحدة. ولماذا نقول إن هذه المعاني تتسق في السورة كما تنتسق الحجرات في البنيان؟ لا، بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان. ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين، وتؤدي بمجموعها غرضًا خاصًا، كما يأخذ الجسم قوامًا واحدًا، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضوية"[٣٦].

وعند ورود المعاني المحتملة للآيات أو المقاطع في السورة الواحدة، فإننا نجد العلماء ينظرون في سياق السورة، ويبحثون عن المقصد الأساس الذي عليه مدر السورة، فيكون دور السياق العام للسورة كمرجع لأحد هذه المعاني، و"لا غنى لتفهم نظْمُ السورة عن استيفاء النظر في جميعها، كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية"[٣٧].

النوع الرابع– السياق العام للقرآن الكريم (القرآن كله): هو شامل لما بين دفتي المصحف لا تحده فواصل الآيات والسور والأجزاء، ويراد بهذا النوع من السياق القرآني: الأغراض والمقاصد الأساسية للقرآن الكريم، ومعانيه الكلية، وأساليبه المطردة، إلى جانب النظم الإعجازي والأسلوب البياني الذي يشيع في جميع تعبيراته؛ الأمر الذي يؤكد ضرورة الإلمام بهذا الأسلوب، ومعرفة خصائصه، مع معرفة الأغراض والمقاصد الكلية، والاتجاهات العامة الثابتة في القرآن الكريم[٣٨]، يقول سعيد النورسي: "فإنّ جميع الآيات القرآنية يتلألأ عليها هذا الانتظام والتناسب والحسن، فيظهر في المقصد الواحد كظهوره في مجموع المقاصد نفسها أصولا وفروعا، إلا أنّها قد تتداخل وتتسلسل، وتصبح توابع، كلّ منها مقارنة مع الأخرى دون اختلاط. وهذا يوجب الحذر والانتباه؛ لِأَنَّ النظرة العابرة كثيرًا ما تزلّ في هذه المواضع"[٣٩].

فكما أَنَّ المقطع القرآني بتعدد معانيه وتظافرها وتآلفها تؤدي إلى غرض رئيس معين، وبمجموع المقاطع توجب غرضًا أو أكثر للسورة الواحدة؛ فمن الطبيعي أن تتوارد وتتابع هذه الأغراض لتكون أغراضًا، أو مقاصد كبرى للقرآن الكريم.

---

(٣٦) النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، ص١٨٨.

(٣٧)المصدر السابق ، ص١٩٢.

(٣٨) ينظر: دلالة السياق، منهج مأمون لتفسير القرآن، عبد الوهاب أبو صفية، ص٨٩.

(٣٩) صيقل الإسلام، النورسي، ص١٠٢.

وعليه فأغراض ومقاصد السور يكمل بعضها بعضًا، وما أُجمل في سورة بُين ووضح في سورة أخرى، وما ورد على عمومه في سورة ربما يُخصص في سورة أخرى، وهذا النوع من السياق في غاية الأهمية بالنسبة للتفسير، ويعكس مدى ترابط المعاني وتآلفها، وكأنك أمام قطعة واحدة من أول القرآن الكريم إلى منتهاه، قال الزركشي: "عند التأمل يظهر أن القرآن كله كالكلمة الواحدة"(٤٠).

"وبعد الاستعراض السابق لمعنى السياق القرآني، وأنواعه، وأركانه، يظهر أَنَّ هناك فرقًا بين السياق القرآني وغيره من السياقات اللغوية والأصولية، فالسياق القرآني ينصب بشكل رئيس على المعنى المستفاد من الكلمات القرآنية، وربط هذه المعاني مع ما قبلها وما بعدها، وهذا لا يعني إغفال معاني الألفاظ التي هي السمة الرئيسة للسياق اللغوي، بل يرعاها مع ربطها بالمعنى العام المستقى من الكلمات القرآنية.

وهذا يعني أَنَّ تعلق السياق القرآني بالمعنى أكثر من تعلقه بنظم الألفاظ، وهذا فارق مهم بين السياقين "القرآني واللغوي".

كما أَنَّ أنواع السياق يتفاوت بالنسبة للأهمية بحسب التصاقه بالمعنى، فسياق الآية مقدم على سياق المقطع، وسياق المقطع مقدم على سياق السورة، وسياق السورة مقدم على السياق العام"(٤١).

المبحث الثالث- الجانب التطبيقي:

لما كان السياق آلة فهم واستنطاق عند المفسرين، فإننا لا نعدم في تفاسيرهم شواهد كثيرة على استعمالهم للسياق القرآني بصفه أداةً مهمة تبين شذوذ قول، وصواب غيره، وإن استقصاء الشواهد لا يلتئم والغرض الذي نريده، فضلًا عن ضيق المقام وعدم اسعافه، فالبحث قائم على الاصطفاء، لا على الاستقراء؛ لعله يفتح بابًا جديدًا في البحث والاستقراء في كتب التفسير، ومن هنا سنجتزئ للتمثيل بما يأتي:

المثال الأول- قال تعالى: ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّ ﴾ [النساء: ٣٤].

أقوال المفسرين في معنى الهجر:

ذكر المفسرون في معنى الهجر أقوالًا متعددة، وخلاصة ما ذكروه يدور حول الآتي:

أَنَّ ينام معها ويوليها ظهره ولا يجامعها، وقيل: أن يعتزل عنها في فراش آخر، وقيل:

(٤٠) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (٣٩/١).

(٤١) السياق القرآني وأثره في ترجيح المعاني، مراد المحمدي، ص٩٥.

﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ ﴾ من الهجر وهو القبيح من الكلام، أي غلظوا عليهن في القول، وقيل: واهجروا كلامهن، وقيل: شدوهن وثاقًا في بيوتهن، من قولهم: هجر البعير أي ربطه بالهجار، وهو حبل يشد به البعير[٤٢].

القول الشاذ: هو ما ذهب إليه إمام المفسرين ابن جرير الطبري بقوله: ﴿فأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يكون قوله: ﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ ﴾، موجها معناه إلى معنى الربط بالهجار، على ما ذكرنا من قول العرب للبعير إذا ربطه صاحبه بحبل[٤٣]، وشذوذ هذا القول تتضح من خلال الآتي:

أولًا– سياق الآيات تتحدث عن العلاقات الأسرية وكيفية الحفاظ عليها، والإجراءات العلاجية حال حدوث خلل فيها، وراعت الآيات الترتيب في الإجراءات من الأخف إلى الأثقل، وهو ترتيب منطقي يراعي بقاء الكيان الأسري حال حدوث بعض مما يعكر صفوه قال الرازي: "الذي يدل عليه أَنَّهُ تعالى ابتدأ بالوعظ، ثم ترقى منه إلى الهجران في المضاجع، ثم ترقى منه إلى الضرب، وذلك تنبيه يجري مجرى التصريح في أَنَّهُ مهما حصل الغرض بالطريق الأخف وجب الاكتفاء به، ولم يجز الإقدام على الطريق الأشق"[٤٤]، وعليه: فلا معنى لذكر الضرب عقيب ربط المرأة بالحبل؛ لِأَنَّ الربط نوع ضرب، بل هو أشد وأغلظ، وَكَأَنَّ المعنى يصبح تكرارًا للضرب وتأكيدًا له، ومتى ما دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى[٤٥].

ثانيًا– سياق الآيات يُبين أَنَّ هذه الإجراءات علاجية فلا يتفق السياق مع المعنى الذي ذكره الطبري؛ فأي معنى لعودة العلاقات الزوجية لطبيعتها بعد هذا الإجراء الشديد الرعونة، والحق أَنَّه يزيد العلاقات الزوجية سوءًا ولا يصلحها، وهذا يتنافى مع سياق الآيات التي جاءت لتعالج العلاقات الزوجية التي بدأت بالانحراف، وهذا المعنى أشار إليه سيد قطب بقوله: "وفي سبيل صيانة المؤسسة من الفساد أو من الدمار أبيح للمسؤول الأول عنها أن يزاول بعض أنواع التأديب المُصْلِحة في حالات كثيرة لا

---

(٤٢) ينظر: جامع البيان، الطبري (٣٠٢/٨-٣١٢)، تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين (٣٦٧/١)، الكشف والبيان، الثعلبي (٣٠٣/٣)، الكشاف، الزمخشري، (٥٠٦/١-٥٠٧)، تفسير القرآن، العز ابن عبد السلام (٣٢٢/١)، مفاتيح الغيب، الرازي (٧٢/١٠-٧٣)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(٢٩٥/٢)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٧٢/٥)، وغيرها.

(٤٣) جامع البيان، الطبري (٣٠٩/٨).

(٤٤) مفاتيح الغيب، الرازي (١٠/ ٧٢).

٤٥() وهذه قاعدة سياقية مهمه ترجح بين الأقوال المتعددة، وممن قال بهذه القاعدة: الطبري في جامع البيان، (١٩٣/١٧)، وابن العربي في أحكام القرآن، (١٣١/١-١٣٢)، وابن القيم في عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، (١٥٧/١)، والشوكاني في فتح القدير، (٤٧/٢)، والآلوسي في روح المعاني، (٢٠٣/١)، والشنقيطي، في أضواء البيان، (١٢٧/١)، والحربي في قواعد الترجيح عند المفسرين، (٤٧٣/٢)، وغيرهم.

للانتقام ولا للإهانة ولا للتعذيب، ولكن للإصلاح ورأب الصدع... إنها أبدًا ليست معركة بين الرجل والمرأة يُراد لها بهذه الإجراءات تحطيم رأس المرأة حين تهِمُّ بالنشوز وردها إلى السلسلة كالكلب المسعور إنَّ هذا قطعًا ليس هو الإسلام..."(٤٦).

ثالثًا- من قواعد السياق المهمة: أَنَّهُ يجب حمل كلام الله على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر(٤٧)، والهجر في اللغة: ضد الوصل، بمعنى الترك(٤٨)، فالمعاني اللغوية تدور حول معنى البعد والترك وعدم القرب، أما ما ذهب إليه الطبري من أَنَّ الهجر معناه الربط بالحبل فغريب عن المعاني اللغوية، وهذا ما قرره الطبري في مواضع كثيرة من تفسيره، وخالفه هنا كقوله: "وغير جائز حمل كتاب الله تعالى ووحيه -جل ذكره- على الشواذ من الكلام، وله في المفهوم الجاري بين الناس وجه صحيح موجود"(٤٩)؛ وعليه: فقول الطبري يناقض سياق الآيات الكريمة الهادفة لرأب الصدع، واستمرار العلاقة الزوجية، وهذا كافٍ لرد هذا القول الشاذ؛ "فالمرأة إذا كانت ناشزة عاصية لزوجها؛ فكيف يليق به أن يكرهها على الجماع؟ ويربطها لأجله إلا إذا كان سمجًا ثقيلًا، وهذا -أيضًا- من بدع التفاسير؛ لِأَنَّهُ عدول عن اللغة المشهورة والمناسبة للسياق إلى لغة غير مشهورة ولا مناسبة للسياق"(٥٠).

ويكفي أَنَّ هذا القول، لم يقل به أحد سوى الطبري مخالفًا لجمهور المفسرين، وقد تعقبه العديد من المفسرين بالرد، قال ابن العربي: "يا لها من هفوة من عالم بالقرآن والسنة"(٥١)، وقال ابن عطية: "وفي كلامه في هذا الموضع نظر"(٥٢)، وقال القرطبي: "وفي كلامه في هذا الموضع نظر"(٥٣).

المثال الثاني- قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ المائدة: ٢٠.

(٤٦) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٥/٦٥٣-٦٥٤).
(٤٧) قواعد الترجيح عند المفسرين، الحربي، (١/٣٦٩).
(٤٨) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (٥/٢٥٠)، تاج العروس، الزبيدي، (١٤/٣٩٨)، المعجم الوسيط، (٢/٩٧٢).
(٤٩) جامع البيان، الطبري، (٤/ ٥٧٣).
(٥٠) بدع التفاسير، الغماري، ص٣٨.
(٥١) أحكام القرآن، ابن العربي، (١/٤٣٩).
(٥٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (٢/ ٤٨).
(٥٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٥/ ١٧٢).

أقوال العلماء في تعيين المقصود بالخطاب في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

الأول– جمهور المفسرين على أَنَّ المقصود بالخطاب هم بنو إسرائيل، والمعنى: أَنَّ الله آتاهم ما لم يؤتِ أحدًا من عالمي زمانهم(٥٤).

والثاني– أَنَّ المقصود بالخطاب أمة محمد –ﷺ–، وهذا القول مردود لمخالفته سياق الآية، فالحديث في سباق ولحاق الآية عن بني إسرائيل، قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾ المائدة: ١٩ – وإدخال أمة محمد –صلى الله عليه وسلم– في المعنى تقطيع للنظم القرآني، وتفكيك للمعنى الواحد في ثنايا الآيات القرآنية وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له(٥٥)، وهذا ما عناه ابن جرير بقوله: (وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب، قول من قال ﴿قُلْ وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿قُلْ اذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ومعطوف عليه، ولا دلالة في الكلام تدل على أَنَّ قوله: ﴿قُلْ وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مصروف عن خطاب الذين ابتدئ بخطابهم في أول الآية. فإذ كان ذلك كذلك، فَإن يكون خطابا لهم، أولى من أن يقال: هو مصروف عنهم إلى غيرهم(٥٦) فعطف الكلام على سابقه يقتضيه حرف العطف (و)، ولاحق الكلام متصل اتصال تام بسابقه، وإقحام كلام بينهما يجزِّئ المعنى ويخل بوحدته، وعليه فشواذ هذا القول واضح من خلال السياق حتى أَنَّ العديد من المفسرين لم يلتفتوا

(٥٤) ينظر: جامع البيان، الطبري، (١٠/١٦٤-١٦٦)، بحر العلوم، السمرقندي، (١/٣٨١) ، زاد المسير، ابن الجوزي، (١/٥٣١) ، الكشاف، الزمخشري، (١/٦٢٠)، المحرر الوجيز، ابن عطية، (٢/١٧٣)، مفاتيح الغيب، الرازي، (١١/٣٣١)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٣/٧٤).

(٥٥) وهذه قاعدة سياقية مهمة جمعت بين ركني السياق، واستعملها العديد من العلماء منهم: الطبري في جامع البيان، (٦/٢٣)، وابن عطية في المحرر الوجيز، (٣/١١)، والعز بن عبد السلام في الإشارة إلى الإيجاز، ص: ٢٢٠، وابن تيمية في مجموع الفتاوى، (١٥/٩٤)، والزركشي في البحر المحيط، (٤/٣٥٧)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن، (٩/٢٩)، وغيرهم.

(٥٦) جامع البيان، الطبري، (١٠/١٦٦).

لهذاالقول ولم يشيروا له[٥٧]، ومن أورده منهم فعلى وجه التضعيف؛ قال القرطبي: "وهذا عدول عن ظاهر الكلام بما لا يحسن مثله"[٥٨]، وقال ابن عطية: "وهذا ضعيف"[٥٩].

المثال الثالث– قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الأنعام: ٢٣ - ٢٤

أقوال المفسرين في التوقيت الزمني لقَسَم الكفار الوارد في الآية: فجمهور المفسرين على أَنَّ القَسَم في الآخرة[٦٠]، وهناك قول شاذ، وهو أَنَّ القسم في الدنيا، وليس في الآخرة، وعليه فالمعنى على هذا القول: أي ما كنا مشركين عند أنفسنا وما علمنا أنَّا على خطأ في معتقدنا، فانظر يا محمد كيف كذبوا على أنفسهم في الدنيا[٦١]، وبطلان هذا القول واضح جدًا من خلال السياق القرآني، وبيان ذلك كالآتي:

أولًا– سباق الآية: فالآية السابقة لها، هي قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (الأنعام: ٢٢)، تتحدث عن أحوال الآخرة، وحمل قَسَمِ المشركين على أَنَّهُ في الدنيا فيه تقطيع للنظم القرآني، وتفكيك للمعنى، والقاعدة السياقية تقول: "وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له"[٦٢].

ثانيًا– السياق العام للقرآن "تفسير القرآن بالقرآن" يرد هذا القول، فقد نص القرآن على قَسَم المشركين في الآخرة عند قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ

---

(٥٧) ينظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (٤٩٠/٣)، تفسير الراغب الأصفهاني، (٣١١/٤)، الكشاف، الزمخشري، (٦٢٠/١)، مفاتيح الغيب، الرازي، (٣٣١/١١)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص:٢٢٧.

(٥٨) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٢٥/٦)، وممن أشار له بالضعف: ابن عطية في تفسيره (١٧٣/٢)، وابن كثير في تفسيره (٧٤/٣)، وغيرهم.

(٥٩) المحرر الوجيز، ابن عطية، (١٧٣/٢).

(٦٠) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٢٩٧/١١)، معالم التنزيل، البغوي، (١١٩/٢)، مفاتيح الغيب، الرازي، (٥٠٢/١٢-٥٠٤)، البحر المحيط، أبو حيان، (٤٦٧/٤)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير،(٢٤٦/٣)، البحر المديد، ابن عجيبة، (١٠٧/٢)، التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٧٦/٧)، محاسن التأويل، القاسمي، (٣٣٥/٤) روح المعاني، الآلوسي، (١١٨/٤)، وغيرها.

(٦١) ينظر: الكشاف، الزمخشري، (١٣/٢).

(٦٢) وهذه قاعده سياقية مهمة جمعت بين ركني السياق، واستعملها العديد من العلماء منهم: الطبري في جامع البيان، (٢٣/٦)، وابن عطية في المحرر الوجيز، (١١/٣)، والعز بن عبد السلام في الإشارة إلى الإيجاز، ص٢٢٠، والزركشي في البحر المحيط، (٣٥٧/٤)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن، (٢٩/٩)، وابن تيمية في مجموع الفتاوى، (٩٤/١٥)، وغيرهم.

ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴾(المجادلة: ١٨)، فاجتمع سياق الآية مع السياق العام للقرآن لرد هذا القول، وهذا ما عناه الزمخشري بقوله: "وحمْلُ قوله: (ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ) يعنى في الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لأفصح الكلام إلى ما هو عِيّ[٦٣]، وإقحام؛ لِأَنَّ المعنى الذي ذهبوا إليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه ولا منطبق عليه، وهو نبا عنه أشد النَّبْو. وما أدري ما يصنع مَنْ ذلك تفسيره بقوله تعالى:(يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ بعد قوله:(وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ)، فشبه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا)[٦٤].

وعليه فقد تظافرت أقوال المفسرين باعتماد القول الأول، وذكر الرازي أَنَّهُ قول جمهور المفسرين[٦٥]، وقلما ذكر المفسرون القول الثاني لشذوذه، ومَن ذكره إنما لبيان شذوذه بمخالفته السياق، قال الآلوسي: "ورُد بِأَنَّ الآية لا تدل على هذا المعنى بوجه، ولا تنطبق عليه؛ لِأَنَّهَا في شأن خسرهم وأمرهم في الآخرة لا في الدنيا، بل تنبو عنه أشد نبو؛ لِأَنَّ أول النظم الكريم وآخره في ذلك فتخلل بيان حالهم في الدنيا تفكيك له وتعسف جدًا. ويؤيد ما ذهب إليه الجمهور –أيضا– قوله تعالى: يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ (المجادلة:١٨) بعد قوله سبحانه: ﴿ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ (المجادلة: ١٤)؛ حيث شبه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا، ويشير إلى هذا التشبيه أيضا الأمر بالنظر كما لا يخفى على من نظر"[٦٦].

المثال الرابع– قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٤٥ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦ ﴾ هود: ٤٥ - ٤٦.

أقوال المفسرين في ابن نبي الله نوح –عليه السلام–: ذكر المفسرون قولين في ذلك:

الأول– أَنَّهُ ابنه حقيقة، وهو قول جمهور المفسرين.

الثاني– أَنَّهُ ابن غيره[٦٧]، والقول الثاني شاذ، ويرده السياق القرآني، وذلك للآتي:

---

(٦٣) عييت بهذا الأمر إذا لم أهتد لوجهه، وأعياني الأمر أن أضبطه. العين، الفراهيدي، (٢/٢٧٢).

(٦٤) الكشاف، الزمخشري، (٢/١٣).

(٦٥) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (١٢/٥٠٢-٥٠٤).

(٦٦) روح المعاني، الآلوسي، (٤/١١٨).

(٦٧) ينظر: جامع البيان، الطبري، (١٥/٣٤٠-٣٤٦)، مفاتيح الغيب، الرازي، (١٧/٣٥٠)، فتح القدير، الشوكاني، (١/٥٣٢)، تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (١٢/٧١)، التفسير الميسر، نخبة من علماء التفسير، (١/٢٧٧).

١- سباق الآية : فقد نص الله على بنوته بقوله:﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (هود: ٤٢)، فلفظ(ٱبۡنَهُۥ) التي قالها الله في كتابه صريحة في النسبة إليه، ونداء ابنه مصغرًا له بلفظ (يَٰبُنَيَّ) فيه من التلطف والترقق والاهتمام بالمدعو المُشعِر بكمال عاطفة الأبوة للبنوة ما يؤكد المعنى الأول؛ ولهذا استغرب المفسرون من القول الثاني لمصادمته الواضحة للسياق، فقال ابن جبير: "كان ابن نوح، إن الله لا يكذب! قال:﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ ﴾" [٦٨]، وسبَّح الله طويلًا لمَّا سأله رجل: أكان ابنه؟ ثم قال: (لا إله إلا الله يحدث الله محمدًا -ﷺ- أَنَّهُ ابنه، وتقول: إنه ليس ابنه! نعم كان ابنه، ولكن كان مخالفًا في النية والعمل والدين؛ ولهذا قال الله تعالى:﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ ﴾ [٦٩].

ثانيًا- لفظ الابن يطلق حقيقة على الولد[٧٠]، والقاعدة السياقية تقول: "الأصل حمل اللفظ على الحقيقة لا المجاز، وهذا ما حكاه الرازي في معرض انتصاره لقول الجمهور بقوله: "والدليل عليه: أَنَّهُ تعالى نص عليه فقال:(وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ)، ونوح أيضًا نص عليه، فقال: (يَٰبُنَيَّ)، وصرف هذا اللفظ إلى أَنَّهُ رباه، فأطلق عليه اسم الابن لهذا السبب صرف للكلام عن حقيقته إلى مجازه من غير ضرورة، وَأَنَّهُ لا يجوز، والذين خالفوا هذا الظاهر إنما خالفوه لِأَنَّهُم استبعدوا أن يكون ولد الرسول المعصوم كافرًا، وهذا بعيد..."[٧١].

ثالثًا- سياق القرآن: فلم يرد في القرآن لفظ ابن وعُني به غير الابن الحقيقي، بل المعنى الشرعي قصر الاستعمال فقط على الابن الحقيقي، ونهى عن غيره ليكون حكمًا ثابتًا في الشريعة الإسلامية قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡ ﴾ (الأحزاب: ٥).

كما أَنَّ السياق العام للقرآن الكريم بيّن مكانة الأنبياء، وفضلهم، واصطفائهم من بين البشر، وبعض تفصيلات القول الثاني "أَنَّهُ ولد زنا" فيها ازدراء لمقام النبوة العظيم التي اصطفى الله لها أفضل الخلق على الإطلاق، واستنقاص لأنبياء الله الذين اختارهم الله وفضلهم تفضيلًا، فالرجل العادي لا يجتمع في حقه الذكاء والفطنة والشرف مع اتهامه في عرضه؛ فكيف بالأنبياء؟!" والقول الذي يعظم مقام النبوة، ولا

---

(٦٨) جامع البيان، الطبري، (٣٤١/١٥).
(٦٩) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٤٥/٩-٤٦).
(٧٠) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (٨٩/١٤).
(٧١) مفاتيح الغيب، الرازي، (٣٥٠/١٧).

ينسب إليها ما لا يليق بها أولى بتفسير الآية، وكل قول طَعَنَ في عصمة النبوة ومقام الرسالة فهو مردود"[٧٢].

رابعًا- لحاق الآية: فجواب الله لنوح -عليه السلام- يدحض القول الثاني، فلو كان كما قال أصحاب القول الثاني لكان الجواب مطابقا له، أي: أَنَّهُ ليس ابنك، ولكن الله عز وجل قال: "إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ" الذين على شاكلتك، أو الناجين، فلم ينف البنوة بل المشاكلة في الدين والمعتقد.

المثال الخامس- قوله تعالى: ﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ١٨ ﴾ الكهف: ١٨.

أقوال العلماء في معنى الكلب المذكور في الآية: حاصل كلام المفسرين في قولين:

الأول- أَنَّهُ كلب من كلابهم كان معهم، وهو الحيوان النباح المعروف عند الناس، وهو قول جمهور المفسرين[٧٣].

الثاني- أَنَّهُ إنسان من الناس كان طباخًا لهم تبعهم[٧٤]، والقول الثاني غريب جدًا، ومخالفته للسياق واضحة، وبيان ذلك كالآتي:

أولًا- القرآن نص على أَنَّهُ كلب، وكل تفسير ليس مأخوذًا من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو رد على قائله[٧٥].

---

(٧٢) قواعد الترجيح، الحربي، (٣٢٨/١).

(٧٣) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٦٢٤/١٧)، النكت والعيون، الماوردي، (٢٩٢/٣)، لطائف الإشارات، القشيري، (٣٨٤/٢)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٣٧٠/١٠)، روح المعاني، الآلوسي، (٢١٥/٨)، تفسير المراغي، (١٢٩/١٥)، فتح البيان، محمد الحسيني، (٢٥/٨)، زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٤٥٠٦/٩).

(٧٤) ينظر: النكت والعيون، الماوردي، (٢٩٢/٣)، الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، (٤٣٤٤/٦)، غرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرماني، (٦٥٤/١).

(٧٥) هذه قاعدة سياقية مهمة لكل من تعمد إهمال دلالات الألفاظ ليتفق مع رأيه ومذهبه، وللاستزادة، ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، الحربي، (٣٤٩/١)، وما بعدها.

ثانيًا- القرينة الموجودة في لحاق الآية تؤيد القول الأول، وتبطل القول الثاني وهي: قوله تعالى: (بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ)، وهذه الوضعية لا تكون إلا للكلب، وليست للإنسان، والقول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه(٧٦).

المثال السادس- قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ مريم: ٦٨ - ٧٢.

أقوال العلماء في عود ضمير قوله تعالى: (وَارِدُهَا):

ذكر المفسرون قولين في عود ضمير (وَارِدُهَا)، الأول- أَنَّهُ يعود إلى جهنم وهو قول جمهور المفسرين(٧٧).

الثاني- أَنَّهُ يعود إلى يوم القيامة وما أورد هذا القول إلا النحاس، وعلله بقوله: "ومن أحسن ما قيل فيه، أعني في الآية: أَنَّ المعنى: وإن منكم إلّا وارد القيامة؛ لأن الله -جل وعز- قال في المؤمنين ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ (الأنبياء: ١٠٢)، وقال جلّ ثناؤه: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (المائدة:٤٨) و (الأنعام:٦٩)، ودلّ على أنّ المضمر للقيامة (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ) فالحشر إنما هو في القيامة، ثم قال جلّ وعزّ: (وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا) واسم كان فيها مضمر أي كان ورودها. فأما

(٧٦) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، الحربي، (٢٩٩/١)، وما بعدها.

(٧٧) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٢٢٩/١٨ وما بعدها)، المحرر الوجيز، ابن عطية، (٢٧/٤)، مفاتيح الغيب، الرازي، (٥٧٧/٢١)، أنوار التنزيل، البيضاوي،(١٧/٤)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير،(٢٥٢/٥)، البحر المحيط، أبو حيان، (٢٨٩/٧) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (٢٧٦/٥)، أيسر التفاسير، الجزائري، (٣٢٣/٣)، تفسير الشعراوي، (٩١٥٤/١٥).

(وَنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) فالإضمار للنار؛ لِأَنَّهَا في القيامة فكنى عنها لمّا كانت فيها. وهذا من كلام العرب الفصيح الكثير"[٧٨]، وهذا الكلام غريب جدًا، والسياق يدحضه من خلال الآتي:

أولًا– سياق الآية: حيث صرحت بذكر جهنم (لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا)، والتي بعدها كذلك (ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيًّا)؛ فسباق الآية كله يتحدث عن جهنم.

ثانيًا– لحاق الآية، وهو قوله تعالى: (ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) والإنجاء لا يكون إلا من النار بدلالة (وَنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا)، فما قبل الآية وما بعدها كله في ذكر النار، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له.

ثالثًا– ما ذكره النحاس في غاية البعد، ويناقض السياق، ويخالف قواعده؛ فكلامه مبني على تقدير محذوف لاسم كان، والأصل أَنَّ القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار إلا إذا دل الدليل على غير ذلك[٧٩]، والمعنى هنا مستقيم ولا يحتاج لتقدير مضمر، كما أَنَّ كلامه جعل مرجع الضمائر، وتعاطف الجمل مع بعضها مفككًا في الآية الواحدة؛ فجعل إنجاء المتقين في يوم القيامة، وترك الظالمين جاثين في جهنم، وهذا يشتت اللحمة الواحدة لمعاني الآيات، ويقطّع تتابع الكلام، وهذا يُخل بمعنى الآيات، وهذا كافٍ لشذوذه، وحتى لا يتقطع نظم الكلام باختلاف عود الضمير على غير المخاطب في الآية، وتوحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها[٨٠]

---

(٧٨) إعراب القرآن، للنحاس(١٨/٣).

(٧٩) هذه القاعدة استعملها الطبري في جامع البيان، (٣٢٦/١)، أبو حيان في البحر المحيط، (١٥٩/١)، العز بن عبد السلام في الإشارة إلى الإيجاز، ص: ٢، والرازي في التفسير الكبير، (١٥٨/٤)، وابن تيمية في مجموع الفتاوى، (٤٢٢/١٤)، وابن القيم في الصواعق المرسلة، (٧١١/٢)، ، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم، (٢٢٢/٤)، وغيرهم.

(٨٠) وتوحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد قاعدة مهمة في الترجيح بين الأقوال بمراعاة السياق، وممن قال بهذه القاعدة الطبري في جامع البيان، (١٩٢/١٧)، وأبو حيان في البحر المحيط، (١٨٩/٨)، والزمخشري في الكشاف،(٦٤/٣)، وابن عطية في المحرر الوجيز، (٨/٥)، والزركشي في البرهان، (٣٥/٤)، والألوسي في روح المعاني، (١٤١/٣٠)، والحربي في قواعد الترجيح، (٦١٣/٢)، وغيرهم.

المثال السابع- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ الحج: ٢٦ - ٢٧.

أقوال المفسرين في تعيين المخاطب في قوله تعالى: (وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ):

ذكر المفسرون قولين في تعيين المقصود بالخطاب:

القول الأول- أَنَّهُ إبراهيم -عليه السلام- وهو قول جمهور المفسرين(٨١).

القول الثاني- أَنَّهُ محمد ﷺ(٨٢).

والقول الثاني في غاية الشذوذ لمخالفته الصريحة لسباق الآية؛ حيث إنه لم يرد ذكر لنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- البتة لا قبل الآية ولا بعدها، وابتداء الآية الثانية بحرف العطف (و) يقتضي أَنَّ المخاطب هو إبراهيم -عليه السلام- وعليه فالقول الثاني يمثل إخلالًا بنظم القرآن، وتقطيع لأجزائه من غير أي دليل يدل على ذلك، بل ظاهر السياق يقطع بالقول الأول، قال الآلوسي: "وزعم بعضهم أنه لنبينا -صلّى الله عليه وسلم- أُمِرَ بذلك في حجة الوداع، ...، وهو خلاف الظاهر جدًا ولا قرينة عليه، وقيل: يأباه كون السورة مكية"(٨٣).

المثال الثامن- قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ فصلت: ١٩ - ٢١.

---

(٨١) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٦٠٥/١٨)، معاني القرآن، الزجاج، (٤٢٢/٣)، الكشاف، الزمخشري، (١٥٢/٣)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤١٤/٥)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٣٧/١٢)، روح المعاني، الآلوسي، (١٣٧/٩)، فتح القدير، الشوكاني، (٥٣٠/٣).

(٨٢) لم نجد من انتصر لهذا القول بحسب اطلاعنا، سوى النحاس في كتابه إعراب القرآن، (٦٧/٣)، وهذا وحده كافٍ لإثبات شذوذ هذا القول.

(٨٣) روح المعاني، الآلوسي، (١٣٧/٩).

أقوال المفسرين في معنى شهادة الجوارح على أصحابها: ذكر المفسرون قولين في معنى شهادة الجوارح وشهادتها على أصحابها وإنطاق الله لها يوم القيامة وهما:

الأول– أَنَّ النطق والشهادة على ظاهره وحقيقته كما أوردته الآيات، وهو قول جمهور المفسرين(٨٤).

الثاني– قيل: المراد ظهور علامات على الأعضاء دالة على ما كانت متلبسة به في الدنيا، بتغير أشكالها ونحوه. مما يلهم الله من رآه أنه صدر عنه ذلك، لارتفاع الغطاء في الآخرة. فالنطق مجاز عن الدلالة(٨٥). والقول الثاني شاذ يناقض السياق القرآني، وبيانه كالآتي:

أولًا– سباق الآية ولحاقها: فالشهادة تحمل معاني الحضور والعلم والإعلام(٨٦) لا مجرد العلامات أو الأمارات، كما قال أصحاب القول الثاني، ولحاق الآية يبين ذلك بما لا يدع مجالًا للشك، فلفظ: (وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ) يدل على وجود محاورة وكلام بين الإنسان وجوارحه، وإجابة الجوارح بلفظ: (قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ) صريح بِأَنَّ الشهادة كانت نطقًا، وهذا يعني سقوط القول الثاني بدلالة ما قبل الآية وما بعدها.

ثانيًا– السياق العام للقرآن الكريم: فليست هذه الآية الوحيدة التي صرحت بنطق الجوارح، بل ثبت ذلك في قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ (النور: ٢٤)، وقوله تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ (يس: ٦٥)، وخير ما يفسر القرآن بالقرآن الكريم، فهل هناك أحد أعلم بمراد الله من الله.

---

(٨٤) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٢١/٤٥٢-٤٥٣)، النكت والعيون، الماوردي، (٥/١٧٦)، الكشاف، الزمخشري، (٤/١٩٥) المحرر الوجيز، ابن عطية، (٥/١٠) ، تفسير القرآن، العز ابن عبد السلام، (٣/١٢٨)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٧/١٧٠)، أنوار التنزيل، البيضاوي، (٥/٦٩)، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، نعمة الله النخجواني، (٢/ ٢٧٦) ، التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، (١٢/١٣٠٢-١٣٠٣)، أضواء البيان، الشنقيطي، (٦/٢٩٩).

(٨٥) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (٢٧/ ٥٥٥)، مدارك التنزيل، النسفي، (٣/٢٣٢)، محاسن التأويل، القاسمي، (٨/٣٣١)، تفسير المراغي، (٢٤/١١٩).

(٨٦) ينظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، (٣/٢٢١).

ثالثًا- خروجًا عن المعنى الظاهر للنص؛ إذ النص جاء صريحًا بلفظ المجيء، وهذه الأقوال تجاوزت الظاهر إلى المعنى المجازي من غير دليل يفيد صرف اللفظ عن ظاهره؛ إذ الألفاظ نفسها ركن من أركان السياق لا يجوز العدول عن ظاهرها إلا بدليل يقتضيه هذا العدول(٨٧).

رابعًا- الأصل حمل اللفظ على الحقيقة لا المجاز، ولا يجوز العدول إلا لعارض يمنع من إجراء الحقيقة على ظاهر الخطاب، وتوجد قرينة لذلك، وأن يكون المحل الذي أُضيفت إليه الحقيقة لا يصلح لها فينتقل عنها لمجازها(٨٨). وهذا مالم يتحقق في هذه الآية، ويكفي أن النبي ﷺ صرح بهذا المعنى عندما خاطب أصحابه فقال لهم: (أَتَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ الْكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ)(٨٩).

المثال التاسع- قوله تعالى:﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾(الفيل:٣-٤).

أقوال المفسرين في معنى الطير والحجارة: حاصل كلامهم في قولين:

الأول- اتفق جل العلماء المتقدمين إنْ لم يكونوا كلهم على حمل الآيات على ظاهرها بأنها طير حقيقية -وإن اختلفوا في أوصافها-، وَأَنَّهَا رمتهم بأحجار من سجيل كما أخبر الله بذلك(٩٠).

---

(٨٧) وهذا المعنى مستوحى من القاعدة السياقية القائلة: بأنه لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه، وممن قال بهذه القاعدة الإمام الشافعي في الرسالة، (ص:٣٤١)، وابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان، (٢٦١/١)، وابن عطية في المحرر الوجيز، (٢٦٦/٢)، وابن تيمية في مجموع الفتاوى، (٢٠٧/٣)، والزركشي في البرهان، (١٦٧/٢)، وحسين الحربي في قواعد الترجيح عند المفسرين، (١٣٧/١)، وغيرهم.

(٨٨) وهذه القاعدة استشهد بها علماء كثر في كتبهم منهم: ابن عبد البر في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، (١٦/٥)، وابن العربي في أحكام القرآن، (٥٩٢/١)، والرازي في التفسير الكبير، (١٧/٧)، وابن عطية في المحرر الوجيز، (٣٧٦/٢)، وابن تيمية في مجموع الفتاوى، (٤٧٣/٢٠)، وابن القيم في الصواعق المرسلة، (٣٣٥/١)، وأبو حيان في البحر المحيط، (٢٣٧/٢)، وحسين الحربي في قواعد الترجيح عند المفسرين، (٣٨٧/٢)، وغيرهم.

(٨٩) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، برقم: ٢٩٦٩، (٢٢٨٠/٤).

(٩٠) لم نجد بحسب اطلاعنا من العلماء القدماء من صرف الآيات عن ظاهرها عدا أقوال نسبت لبعض التابعين بأن المقصود الجدري وما شابهه من غير إنكارهم للطير المذكورة، ومن التفاسير التي قال أصحابها بالظاهر: جامع

الثاني– أن الطير مجاز عن مرض أو وباء مما تنقله الجراثيم والميكروبات، كالجدري ونحوه[٩١]، والسياق يؤيد القول الأول، ويحكم بالشذوذ على القول الثاني من خلال الآتي:

أولًا– السياق العام للسورة: فالغرض من القصة إظهار عظمة البيت، ورعاية الله له، وهذا الغرض يتجلى في أقوى صوره من خلال الخوارق للسنن الكونية؛ لتستقر في أذهان من شاهد ومن سمع إلى يوم القيامة، فالسياق العام للقصة يقتضي أمرًا خارقًا للعادة، وغايته تعظيم بيت الله والإعلاء من شأنه.

وهذا ما عناه سيد بقوله: "... فأما في هذا الحادث بالذات، فنحن أميل إلى اعتبار أَنَّ الأمر قد جرى على أساس الخارقة غير المعهودة، وأن الله أرسل طيرًا أبابيل غير معهودة –وإن لم تكن هناك حاجة إلى قبول الروايات التي تصف أحجام الطير وأشكالها وصفًا مثيرًا، نجد له نظائر في مواضع أخرى تشير إِلَى أَنَّ عنصر المبالغة والتهويل مضاف إليها!– تحمل حجارة غير معهودة تفعل بالأجسام فعلًا غير معهود.. نحن أميل إلى هذا الاعتبار؛ لا لِأَنَّهُ أعظم دلالة ولا أكبر حقيقة. ولكن لِأَنَّ جو السورة وملابسات الحادث تجعل هذا الاعتبار هو الأقرب. فقد كان الله –سبحانه– يريد بهذا البيت أمرًا. كان يريد أن يحفظه؛ ليكون مثابة للناس وأمنًا، وليكون نقطة تجمع للعقيدة الجديدة تزحف منه حرة طليقة، في أرض حرة طليقة، لا يهيمن عليها أحد من خارجها، ولا تسيطر عليها حكومة قاهرة تحاصر الدعوة في محضنها. ويجعل هذا الحادث عبرة ظاهرة مكشوفة لجميع الأنظار في جميع الأجيال؛ حتى ليمتن بها على قريش بعد البعثة في هذه السورة، ويضربها مثلًا لرعاية الله لحرماته وغيرته عليها، فمما يتناسق مع جو هذه الملابسات كلها أن يجيء الحادث غير مألوف ولا معهود، بكل مقوماته وبكل أجزائه ولا داعي للمحاولة في تغليب صورة المألوف من الأمر في حادث هو في ذاته وبملابساته مفرد"[٩٢].

ثانيًا– لحاق الآية فيه إشارة مهمة للقول الأول؛ حيث أخبرنا ربنا بأنهم أصبحوا ﴿كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ﴾ (الفيل: ٥)، وهو الورق الذي جف وأُكل[٩٣]، وهذا تشبيه بأن أجسادهم تهتكت وتناثرت حتى ما بقى منها

البيان، الطبري، (٦٠٥/٢٤)، المحرر الوجيز، ابن عطية، (٥٢٣/٥)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤٨٨/٨)، إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (٢٠١/٩)، فتح القدير، الشوكاني، (٦٠٥/٥)، وغيرهم.

(٩١) ينظر ما قاله أحمد بن مصطفي المراغي في تفسيره، (٢٤٣/٣٠)، محمد عبده، تفسير جزء عم، ص١٢١، ١٢٢.

(٩٢) في ظلال القرآن،، سيد قطب،، (٣٩٧٧/٦–٣٩٧٨).

(٩٣) ينظر: معاني القرآن، الزجاج، (٣٩٧٨/٦).

إلا أجزاء يسيرة، وهذا ما دلت عليه القصة، لا ما ادعاه أصحاب القول الثاني من أَنَّهُ الحصبة أو الجدري التي ثبت أَنَّ أوصافها غير ذلك(٩٤).

ثالثًا- الأصل كما تقرر سابقًا أَنَّ الحمل على الحقيقة أولى من المجاز؛ فالطير في اللغة حركة ذي الجناح في الهواء بجناحه وهو اسم لجماعة ما يطير(٩٥).

فهل تعرف العرب من لسانها إبان وقوع الحادثة وبعدها ما يُعرف في أيامنا بالميكروبات والجراثيم التي اكتشفها العلم حديثًا فيفسر القرآن بها ويحمل عليها؟

والعربي إذا سمع لفظ الحجارة في هذه السورة لا ينصرف ذهنه إلى تلك الجراثيم بحال من الأحوال، وقد جاء القرآن بلغة العرب وخاطبهم بما يعهدون ويألفون(٩٦).

وعليه "فالآية صرحت بإرسال الطير وبين المُخَاطبين كثير ممن عاصر الحادث بل ممن شاهده، وفيهم كثير من أعداء الرسول- ﷺ-، فالسورة مكية ولو أنهم لم يروا هذا الطير الأبابيل رأي العين لبادروا إلى تكذيب القرآن وإنكارهم لرمي الطير لجيش أبرهة، ولا يقبل أن يقال: إنهم رأوا الميكروب أو الجراثيم؛ لِأَنَّهُم لا يستطيعون رؤيتها، ولا يُقال: إِنَّهُم رأوا الذباب والبعوض؛ لِأَنَّهُم لا يرون الحجارة التي تحملها: فكان لا بد أن يكونوا رأوا طيرًا، ورأوا الحجارة التي تحملها ورأوا الرمي، ولا يهم بعد ذلك أن يكون هلاك الجيش بمجرد وقوع الحجر أو أن تكون هذه الحجارة قد أصابته بمرض من الأمراض، فالقرآن لم يصرح بذلك بل ذكر هلاكهم بهذا العقاب الشديد"(٩٧).

فاجتمع مما سبق السياق العام للسورة، ولحاق الآيات، واللغة، وظاهر النصوص القرآنية لترجيح القول الأول، وإثبات شذوذ القول الثاني.

الخاتمة:

وقد خلص الباحثان إلى جملة من النتائج من أبرزها:

(٩٤) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (٣٩٧٨/٦).
(٩٥) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (٥٠٨/٤).
(٩٦) ينظر: التفسير والمفسرون، الذهبي، (٥٦٩/٢).
(٩٧) منهج المدرسة العقلية في التفسير، فهد الرومي، (٧٢٦/٢).

١-السياق القرآني من أهم طُرق التفسير المعتبرة عند العلماء التي يتوجب على كل مفسر السير من خلالها حال بيانه لمعاني كتاب الله عز وجل.

٢-اتفق العلماء قديمًا وحديثًا على أهمية السياق في التفسير، وَأَنَّ إهماله يعرِّض المفسر للخطأ والزلل.

٣- للسياق القرآني أثر عظيم في صون التفسير والكشف عن الأقوال الشاذة الواردة في كتب التفسير، والرد عليها.

٤-القول الشاذ ما خالف طرق التفسير المعتبرة، ومن أهم قرائنه مخالفة جمهور المفسرين.

٥-الأقوال الشاذة نتيجة طبيعية لانحراف الطريقة التي يتبعها صاحب القول الشاذ عند بيانه لمعاني كلام الله عز وجل بقصد، أو بغير قصد.

٦-السياق القرآني من أهم الطرق التي تثبت بها شذوذ هذه الأقوال، وترد عليها بالطريقة العلمية المعتبرة (طريقة السياق القرآني).

التوصيات:

١-الاهتمام بدراسة علم السياق القرآني تأصيلًا وتطبيقًا من قبل المختصين بالدراسات القرآنية لما له من فائدة في تنقيح كتب التفسير وتنقيتها مما خالطها من أقوال شاذة وضعيفة وباطلة.

٢-كتابة أبحاث علمية حول أثر السياق في الكشف عن الأقوال الشاذة والباطلة، وذلك من خلال جرد كتب التفاسير.

٣-جمع الأقوال الشاذة في التفسير للقرآن الكريم كاملًا، ودراستها دراسة تحليلية رصينة (مشروع بحثي متكامل).

وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين،،،

المصادر والمراجع:

١- أثر السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القرآن، تهاني باحويرث،جامعة أم القرى ،٢٠٠٧.

٢- أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان،٢٠٠٣م

٣-الآراء الشاذة في أصول الفقه، عبد العزيز النملة، دار التدمرية، الرياض، ٢٠٠٩م.

٤-إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط ١٩٩٤,٤م.

٥- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري، دار الفكر، ١٩٧٩م.

٦- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، تحقيق: رمزي سعد الدين دمشقية ، دار البشائر الإسلامية، ١٩٨٧م.

٧- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي. تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥م.

٨- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة عبد الرحمن الشاطئ، دار المعارف، القاهرة، ط٣ ،٢٠٠٤م.

٩- إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس، عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤م.

١٠- الأقوال الشاذة في بداية المجتهد لابن رشد، صالح الشمراني، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ١٤٢٨هـ.

١١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، المحقق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث – بيروت،١٤١٨هـ.

١٢- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٥، ٢٠٠٣م.

١٣- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي،تحقيق محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت،١٩٩٧م.

١٤- البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٥- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، ١٤١٩ هـ.

١٦- بدع التفاسير، عبد الله محمد الصديق الغماري الإدريسي، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء،١٩٨٦م.

١٧- البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد بن الفضل، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.

١٨- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٩- تأويلات أهل السنة،، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان ، ٢٠٠٥ م.

٢٠- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور المالكي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

٢١- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مطبعة مصطفى البابى ، ١٩٤٦ م

٢٢- تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب – جامعة طنطا، ١٩٩٩ م

٢٣- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم،١٩٩١م.

٢٤- تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة ، ٢٠٠٢م

٢٥- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار الفكر – بيروت، ١٤٠١هـ.

٢٦- تفسير القرآن، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم – بيروت، ١٩٩٦م

٢٧- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي – القاهرة،١٩٧٠م .

٢٨- تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م

٢٩- التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد– السعودية، ط٢، ٢٠٠٩ م.

٣٠- تفسير جزء عم، محمد عبده، مطبعة مصر،١٣٤١هـ

٣١- التفسير والمفسرون، الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة،٢٠٠٠م.

٣٢- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٣٨٧هـ.

٣٣- التناسب ودوره في الإعجاز القرآني، إقبال وافي نجم، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، ٢٠٠٩م.

٣٤- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الهروي، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠١م.

٣٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٣٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٣٧- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م.

٣٨- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، تحقيق: رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين بيروت، ١٩٨٧م.

٣٩- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤،.

٤٠- الخطاب الشرعي وطرق استثماره، إدريس حمادي، المركز الثقافي ،لبنان،١٩٩٤م.

٤١- دلالة السياق القرآني في ترجيح أحد المعاني، نبيل مرعي، رسالة ماجستير، جامعة القرآن، السودان،٢٠١٢.

٤٢-دلالة السياق القرآني في تفسير الشنقيطي، أحمد المطيري، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية،٢٠٠٧م.

٤٣-دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير دراسة نظرية تطبيقية، عبد الحكيم القاسم، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود،١٩٩٩م.

٤٤- دلالة السياق، منهج مأمون لتفسير القرآن، عبد الوهاب أبو صفية، دار عمار للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م.

٤٥- الرسالة، محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، ١٩٣٩ م.

٤٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ.

٤٧- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ.

٤٨- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي،١٩٩٠م.

٤٩- السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، المثنى عبد الفتاح، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن،٢٠٠٥م.

٥٠-السياق القرآني وأثره في التفسير، عبد الرحمن المطيري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية،٢٠٠٨م.

٥١-السياق القرآني وأثره في ترجيح المعاني، مراد المحمدي، رسالة دكتوراه، جامعة القرآن، السودان،٢٠١٧م.

٥٢- السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، سعيد الشهراني. رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية،١٤٢٧هـ.

٥٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٥٤- صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٩٩١م .

٥٥- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة، القاهرة، ١٩٩٧م.

٥٦- الصواعق المرسلة، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق: د علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض،١٩٩٨م.

٥٧- صيقل الإسلام، بديع الزمان سعيد النورسي، دار سوزلر، ١٩٩٨م.

٥٨-عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية دار ابن كثير، دمشق، بيروت،ط٣، ١٩٨٩م.

٥٩- العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار الهلال.

٦٠-غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت،١٤٠٨هـ .

٦١- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي تحقيق، عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت ١٩٩٢ م.

٦٢- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني دار الفكر – بيروت،١٩٨٣م.

٦٣- الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان، دار ركابي للنشر – الغورية، مصر، ١٩٩٩م.

٦٤- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت،ط١٧، ١٤١٢هـ .

٦٥- -قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين بن علي بن حسين الحربي، دار القاسم، الرياض، ١٤١٧هـ.

٦٦- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط٢، ٢٠٠١م.

٦٧- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ٢٠٠٢م.

٦٨- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٩٨م.

٦٩- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم، المعروف بالخازن، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥هـ.

٧٠- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل – بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٧١- لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة العامة للكتاب – مصر، ط٣، ٢٠٠٠م.

٧٢- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: أنور الباز، وعامر الجزار، دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٧٣- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٨هـ.

٧٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٣م.

٧٥- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق : محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ.

٧٦- مدارك التنزيل، وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي،تحقيق :سيد زكريا، الناشر نزار مصطفى الباز.

٧٧- معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ١٤٢٠هـ.

٧٨- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر،.

٧٩- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ١٩٨٨م.

٨٠- معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، المؤسسة التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، تونس، ١٩٨٨م.

٨١- معجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، وحامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

٨٢- معجم مصطلحات علوم القرآن، محمد الشائع، دار التدمرية، الرياض، ٢٠١٢م.

٨٣- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٨٤- مفاتيح التفسير، أحمد سعد الخطيب، دار التدميرية ، ٢٠١٠م.

٨٥- مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٢١هـ .

٨٦- منهج المدرسة العقلية في التفسير، لفهد بن عبدالله الرومي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ.

٨٧- موسوعة الكلمة وأخواتها في القرآن، أحمد عبيد الكبيسي، دار المعرفة، بيروت، ٢٠١٧م.

٨٨- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، محمد عبدالله دراز، مطبعة السعادة، ١٣٨٠هـ.

٨٩- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،٢٠١٩م.

٩٠- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيرواني ثم الأندلسي، تحقيق مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي ، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة الشارقة، ٢٠٠٨م.

تم بحمد الله وتوفيقه